من روائع ابن القيم في كتاب الفوائد

العمل بالعلم

تعليق

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقًا"

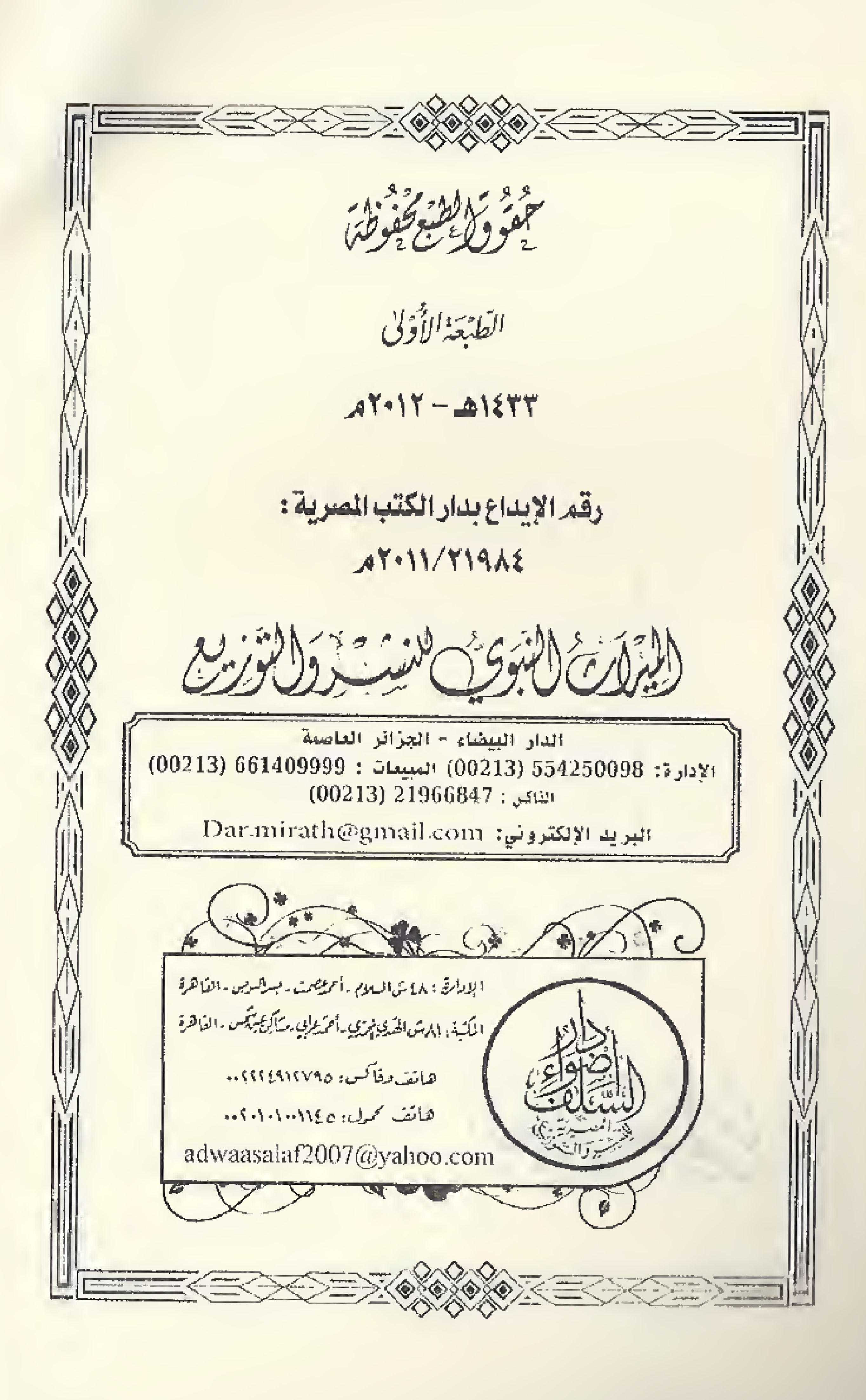









حصريًا على شبكة الإمام الآجري
العمل بالعلم



الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية :

٢٠١١/٢١٩٨٤م

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

الدار البيضاء - الجزائر العاصمة

الإدارة: 554250098 (00213) المبيعات : 661409999 (00213)

الفاكس : 21966847 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

دار أضواء السلف

الإدارة : ٤٨ ش السلام - أحمد عصمت - عين شمس - القاهرة

المكتبة : ١٨ ش الخضري متفرع من أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة

هاتف وفاكس: ٠٠٢٢٢٤٩١٢٧٩٥

هاتف محمول: ٠٠٢٠١٠١٠٠١١٤٥

adwaasalaf2007@yahoo.com

من روائع ابن القيم في كتاب الفوائد

العمل بالعلم

تعليق

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية سابقاً






بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد:

«كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي علىٰ خلاف أغراض الناس ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا.

فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق،

ولاسيما إذا قامت له شبهة، فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوىٰ فيخفىٰ الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم علىٰ مخالفته وقال: لي مخرج بالتوبة.

وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩].

وقال الله تعالىٰ فيهم أيضًا: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩]».

التعليق:

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله

وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد:

فالعلم شأنه عظيم عند الله، ولأهله الصادقين المخلصين العاملين بما تعلَّموه من دين الله الجزاء العظيم يرفعهم الله به درجات، وهم الذين يخشون الله، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

فالعالم الذي يخشىٰ الله ويراقبه لابد أن يكون عاملًا بما علم، فيتبع رضوان الله ويتجنب مساخطه، ويعرف ما الذي يرضي الله ﷻ وما الذي يسخطه.

وقد أثنىٰ الله ورسولهﷺ علىٰ العلم والعلماء، وأخبر أن العلماء ورثة الأنبياء، ولكن ليس كل من كان عالمًا كان وارثًا للأنبياء، فلابد من الإخلاص في العلم ولابد من تطبيق هذا العلم والعمل به ونشره في الناس، فيصلح نفسه بهذا

العلم ويُصلح الآخرين، وإذا لم يعمل به كان العلم أداة فساد وهدم والعياذ بالله.

ولهذا ذم الله من لم يعمل بعلمه وتوعدهم أشد الوعيد، قال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التوبة:٣٤] فذمهم الله أشد الذم وتوعدهم أشد الوعيد.

وقال تعالىٰ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف:٣].

فمن أكبر المقت أن تقول بالعلم وتعظ من منطلق العلم ثم لا تعمل، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

فينبغي للأمة الإسلامية أن تتجنب طرق هؤلاء الضالين من أهل الكتاب الذين تعلموا العلم ولم يعملوا به فقست قلوبهم وفسق أكثرهم، لأن عدم العمل بالعلم يورث هذه القسوة، وهذه القسوة إذا أصابت القلب أهلكته فلا يقبل الحق ولا يعمل بالعلم والعياذ بالله، ويؤدي إلىٰ كتمان العلم والعمل بضده، ويؤدي إلىٰ اتباع الهوىٰ ورد الحق الواضح كالشمس.

وهذا قد وُجد في هذه الأمة، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «خيرُكُم قرني ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ الذين يلونهم ثُمَّ يكون بعدهم قومٌ يخونُون ولا يُؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يُوفون، ويظهرُ فيهم السِّمَن»[1].

يشهدون الزور ويخونون ولا يؤتمنون ويقومون علىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

الفجور ويتبعون الشهوات والعياذ بالله، إلا من سلَّم الله من الطائفة المنصورة التي أثنىٰ عليها رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فعلينا أن نتعلَّم العلم لوجه الله ﷻ ونعمل به، فالجهل داء قاتل، والعلم سلاح فتاك إذا لم تعمل به والعياذ بالله.

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه: «**يُؤتىٰ بالرجل يوم القيامة فيُلقىٰ في النار فتندلقُ أقتابُ بطنه فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ في الرحىٰ، فيجتمع إليه أهلُ النار فيقُولون: يا فُلان ما لك ألم تكُن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المُنكر؟ فيقول: بلىٰ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهىٰ عن المنكر وآتيه**»[١] وقد يكون من هو أسوأ منه، فيأمر بالمنكر وينهىٰ عن المعروف فكيف يكون حاله والعياذ بالله؟!

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

فتعلم العلم يكون لوجه الله والعمل به كذلك، وإلا سيكون العلم وبالًا فيبقىٰ المرء بين داءين، إما داء الجهل وإما داء العلم غير النافع بل العلم الضار.

والعلم الذي جاء به محمدٌ ﷺ في ذاته نافع، ولكن إذا لم يعمل به الإنسان صار وبالًا عليه وضارًّا له، وقد يضر به الآخرين.

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

فاعملوا بالعلم، واعرفوا الله بأسمائه وصفاته من كتابه ومن سنة رسوله ﷺ، واعبدوا الله بما جاء به رسول الله ﷺ وما نص عليه القرآن، فلا تعبدوا الله بجهل ولا بهوىٰ وإنما بالعلم.

والمطلوب من تعلم العلم العمل به، والعمل لا يأتي إلا بعد العلم كما قال الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]، وبوَّب عليها البخاري: بابٌ العلمُ قبل القول والعمل، لأنه يجب علينا ألا نعمل إلا بعلم ولا نعبد الله إلا به، فلا نعبده سبحانه بالجهل أوالهوىٰ.

فعلينا جميعًا أن نتعلم العلم الذي جاء به محمد ﷺ ونعمل به، فلا نرضىٰ لأنفسنا الجهل فنكون من الضالين، ولا نرضىٰ لأنفسنا أن نكون من المغضوب عليهم، فالمغضوب عليهم هم اليهود لأنهم يعلمون الحق ويجحدونه ويخالفونه ويعادون أهله، والضالون هم النصارىٰ الذين يعبدون الله علىٰ جهل، فيجب ألا نكون من المغضوب عليهم ولا الضالين، ونعوذ بالله من هاتين الصفتين، ونسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال المؤلف: (كل من آثر الدنيا).

تكلم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا عن الدوافع التي تدفع الإنسان المتعلم إلىٰ عدم تطبيق هذا العلم.

فمن ذلك: إيثار الدنيا، بمعنىٰ ترجيحها علىٰ الآخرة، فيؤثرها ويحتفي بها ويهتم بها ويجعل الآخرة خلف ظهره، فهذا من الأسباب والدوافع إلىٰ ترك العمل بالعلم وإلىٰ محاربة الحق والعياذ بالله.

وهذه قاعدة: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول علىٰ الله غير الحق في فتواه وحكمه، وفي خبره وإلزامه» يخالف الحق في كل هذه الأمور، وإذا فعل ذلك هلك والعياذ بالله، فإذا أفتىٰ قال غير الحق، لأنه آثر الدنيا علىٰ الآخرة، فإما أن يرتشي أو يطلب بهذا الأمر الرياسة أو غيرها

من المطامع الدنيوية التي تدفعه إلىٰ كراهية الحق ومخالفته والقول بغيره.

فإن أفتىٰ أفتىٰ بغير الحق، وإن حكم فكذلك، وإن أخبر يخبر عن الله كذبا، فإما أن يأتي بأحاديث موضوعة، أو يفتري علىٰ الله ويحرف آياته، وهذا موجود كما هو الحال في أهل الرفض وأهل التصوف وأهل الكلام وأهل البدع قاطبة.

ولهذا قال -عليه الصلاة والسلام-: **«وإن هذه الأُمة ستفترق علىٰ ثلاثٍ وسبعينٍ ملةً -يعني الأهواء- كُلها في النار إلا واحدةً»**[١] يعني أنهم يقعون في هذه الأشياء.

فما الذي يجعله يصر علىٰ البدعة طول حياته ولا يرجع إلىٰ الحق إلا أنه اتبع هواه وآثر دنياه علىٰ أخراه وحرص

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠) من حديث معاوية ﷺ.

علىٰ الرئاسة وعلىٰ حب المال، فيوقعه ذلك في هذه المهالك والعياذ بالله، فتراه طول عمره مصرًّا علىٰ الباطل إمامًا فيه -والعياذ بالله- يحمل وزره وأوزار من وراءه ومن تأسىٰ به إلىٰ يوم القيامة.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من سن سُنةً في الإسلام حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ من عمل بها إلىٰ يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سُنةً سيئةً فعليه وزرُها ووزرُ من عمل بها إلىٰ يوم القيامة»[١]، فيحمل أوزاره وأوزار الذين يضلهم عياذًا بالله.

فلو ذهبنا إلىٰ أهل الطرق الصوفية ونظرنا كيف أنهم أهلكوا أنفسهم وأهلكوا الناس بالعقائد الفاسدة والمناهج الضالة والأوراد الشركية والتعلق بالقبور، فهؤلاء يقولون

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ.

غير الحق ويتعمدون ذلك، وكثير منهم يعرف الحق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكن حرصه على الدنيا وعلى المناصب والرئاسة وما شاكل ذلك يجعله لا يتزحزح عن موقعه ومكانته التي أحله الشيطان فيها وزينها له، والعياذ بالله.

يذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب مخالفة العالم للحق في فتواه وحكمه وخبره وإلزامه، فيقول: «**لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولاسيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا**».

لأن الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات، فكثير من الناس يميلون إلى الشهوات، والشهوات وحب الرياسات تأتي منافية للحق مخالفة له، فحب الشهوات من الباطل والحرص على الرئاسات والتفاني فيها باطل، فهناك معارضة ومصادمة بين الحق والباطل.

فانظروا إلىٰ هؤلاء الذين ينافسون علىٰ الكراسي في الانتخابات ويدفعون الملايين للوصول إليها، وكم يكذبون ويُلَبِّسُون علىٰ الناس.

فطرق الروافض والصوفية والجهمية والمعتزلة والأحزاب الضالة الآن في هذا العصر كلهم أهلكهم الحرص علىٰ الدنيا واتباع الشهوات وحب المناصب، ويُلَبِّسُون علىٰ الناس، لأن باطلهم لا يمشي إلا إذا ألبسوه لباس الحق، وهذا من صفات أعداء الله اليهود والنصارىٰ، ورؤساء النصارىٰ في غاية الخبث، وقد يكون فيهم من هو أخبث من اليهود، وقد يكون فيهم زنادقة، كما أن في رءوس الروافض زنادقة وفي رءوس الصوفية زنادقة فعلًا.

لذلك تجد عند الصوفية أنهم يقولون بالحلول ووحدة الوجود، فهذه زندقة من أين جاءت؟ من الزنادقة، وكثير من

رؤساء الصوفية أخذوا الزندقة من باطنية الروافض، فأهلكوا أنفسهم وأهلكوا الكثير من الناس، ونشروا البدع والضلالات، وكثير منهم قد يعرف الحق ولكن حرصه على الرياسة والمال جعله يتفانى في نصرة الباطل ومقاومة الحق ورده.

فتجردوا لله وتعلموا العلم لوجهه ﷻ وأخلصوا له، وآثروا الآخرة على الدنيا، وإلا يكون العلم حجة عليكم وسببًا في هلاككم.

ثم ساق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض الآيات في الذين لا يعملون بالعلم، كقوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [الأعراف:١٦٩].

فعندهم علم لأنهم ورثوا الكتاب عن أسلافهم، وأسلافهم كان فيهم أهل فضل وخير، وفيهم من فيه فسق،

ولكن هذا الخَلْف انحرف انحرافًا كاملًا عما كان عليه أسلافه، فورثوا منهم الكتاب لكنهم لم يعملوا به.

ونحن ورثنا كتاب الله وسنة الرسول ﷺ فعلينا أن نعمل بهما، لأن كثيرًا ممن ورثوا الكتاب تجدهم يتعلمون القرآن ويتعلمون القراءات، وقد يكون تعلم الحديث وعلوم الحديث، ولكن لا يعمل، ومثالًا علىٰ ذلك: ابن عربي الطائي كان مُحدثًا يعرف الحديث وقال بوحدة الوجود والحلول والضلال والشرك والبلاء، فهذا ورث الكتاب، ولكن مع الأسف وقع في الضلال والإلحاد لأنه متبع لهواه.

النبهاني عرف الحديث وألَّف فيه، ومع ذلك ألف كتابًا سماه: «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق»، مليء بالكفر والضلال، وأيده علماء السوء فأيدوا هذا الكتاب وقرَّظوه، علماء سوء وكبار في مناصبهم ومنازلهم عند الناس، فضلوا وأضلوا والعياذ بالله، وله أيضًا كتاب:

«جامع كرامات الأولياء».

وهذا النبهاني من أشد الناس حربًا للدعوة السلفية، وقد هلك في القرن الماضي، وكان يُلبِّس على الناس ويقول: ابن تيمية جدي في العلم، وهو كالبحر تارة يرمي بالدر والصدف وتارة يرمي بالنتن والجيف -قبَّحه الله-، وله مؤلفات بعد هذا الكتاب، ولكن من أخبثها كتابه هذا: شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق، وهو في الحقيقة شواهد الكفر والباطل والعياذ بالله.

فالقرآن كفَّر من يدعو غير الله سواء كان المدعو نبيًّا مرسلًا أو ملكًا مُقرَّبًا وجعله أضل الناس، وهذا يكذب على الله -تبارك وتعالى- في هذا الكتاب: «شواهد الحق في جواز الاستغاثة بسيد الخلق»، وكذلك كتابه: «جامع كرامات الأولياء»، في مجلدين فيهما من الضلال والإلحاد والزندقة ما لا يستطيع الإنسان أن يحكي بعضه، كرامات مخجلة من

الفسق والفجور والخبث والضلال.

فهؤلاء من علماء السوء الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا كما قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩].

الشاهد: أن أعراض الدنيا تأتيه فيترك الحق، ويقول غير الحق، ويحكم بغير الحق، ويخبر بغير الحق، ليحصل علىٰ هذا العرض الدنيوي، ويقول سيُغفر لي، وهو مُصرٌّ علىٰ الباطل، ويجيئه عرض آخر فيتكالب عليه ويقول سيُغفر لي، وهذا من الأماني الباطلة.

فالله ﷻ يقبل التوبة من العبد إذا أذنب وتاب، ولكن هؤلاء ليس عندهم توبة صادقة، وإنما أماني كاذبة، وهذا حال الذين ورثوا الكتاب ولم يعملوا به، ويقولون غير الحق

ويؤثرون الدنيا على الآخرة، هذا حالهم وهذا وصفهم، ولهم أوصاف أخرى في كتاب الله وفي سنة الرسول ﷺ.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يعلم ويعمل، وأن يجنبنا حب الدنيا وحب الشهوات والرئاسات فإنها مهلكة نسأل الله أن يجنبنا هذه المهالك، إن ربنا لسميع الدعاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الأسئلة

س: يقول السائل: كيف يضل الإنسان عن الحق وهو مبين في كتاب الله ومشروح في كتب السلف وواضح وضوح الشمس، نسأل الله السلامة؟

الجواب:

أولًا: يجب أن تؤمن بالقدر، وأن الله كتب السعادة لأقوام والشقاء لأقوام، وكُلٌّ مُيسَّر لما خلق له، فمن خلق للسعادة يسره الله لعمل أهل السعادة، ومن خلق للشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاء.

ومرجع ذلك إلىٰ أن الله ﷻ يضل من لا يستحق الهداية وليس أهلًا للسعادة، ويوفق من شاء سبحانه ويعلم أنه أهل

أن يكون من أهل السعادة وممن يصلح لحمل رسالة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ونشرها والعمل بها، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وفضل الله يؤتيه من يشاء ﷻ، هو خلق وقدر، وخلق فريقًا للجنة وفريقًا للسعير، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ﴾ [التغابن:٢].

وقال سبحانه: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧]، فالسبب في ذلك أن الله ﷻ يمن علىٰ مَن يشاء مِن عباده ويوفقهم ويسددهم، ويخذل من شاء خذلانهم فلا يُوَفَّقُون.

ومن أسباب الضلال -كما ذكر في هذا الفصل- حب الشهوات وحب الرئاسات، فيكون كتاب الله واضحًا عندهم وسنة الرسول واضحة ولكن يتعمدون المخالفة، فيؤثر هواه ويؤثر دنياه علىٰ أخراه.

س: يقول السائل: هل يجوز أن نطلق صفة لله بدلالة الالتزام من غير أن يكون فيها نص ثابت، كمن يقول: يلزم من صفة المجيء الحركة؟

الجواب: لا يجوز، فأسماء الله وصفاته توقيفية فلا نثبت إلا ما أثبته الله لنفسه ولا ننفي إلا ما نفاه عن نفسه، وهذه قاعدة سلفية يُرَدُّ بها علىٰ المعطلة وعلىٰ المجسمة، فالمجسم يعبد صنمًا والمعطل يعبد عدمًا، والموحد يعبد الله حقًّا علىٰ بصيرة وعلم، فيصفه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

س: يقول السائل: هل الظل في حديث «يوم لا ظل إلا ظلُّهُ»[1] فيه صفة لله تعالىٰ أم هو ظل العرش؟

الجواب: ظل العرش، وقد جاءت روايات مصرحة بهذا.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

س: يقول السائل: هل يجوز للمعتكف في الحرم المكي الخروج إلىٰ مجالس العلم علمًا أنه لا يوجد علماء في بلده، وإن لم يكن جائزًا فأيهما أفضل الاعتكاف أم مجالس العلم؟

الجواب: مجالس العلم موجودة في الحرم، أم أن مرادك أن تترك الاعتكاف وتذهب إلىٰ بيوت الناس؟

الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يجلس في خيمة، لكن إذا ذهبت إلىٰ عالم في المسجد تستمع إليه وعدت إلىٰ مكانك فأنت لا تزال معتكفًا ولم تقع في مخالفة إن شاء الله.

وبهذه المناسبة فإن الرسول ﷺ كان يعتكف ولا يخرج إلا لحاجة الإنسان، حتىٰ إنه لا يعود المرضىٰ -عليه الصلاة والسلام-، فأنت لا تخرج إلا للحاجة الضرورية كقضاء الحاجة، أو أنك ما وجدت أحدًا يأتيك بالطعام فتخرج

وتأكل بسرعة وترجع إلىٰ ما التزمته من العكوف علىٰ طاعة الله وعبادته.

س: يقول السائل: ورد عن بعض المشايخ أن أهل السنة لا يُمكنون أهل البدع من صلاة الاستسقاء لأنه لو نزل الغيث قد يغتر الناس بهم، فإذا كان أهل البدع في بلادنا هم القائمون علىٰ صلاة الاستسقاء هل يُحضر لمثل هذه الصلاة ؟

الجواب: الظاهر أنه يحضر، فإن كان عندك سلطان لتمنع أهل البدع من الاستسقاء والصلاة بالناس فذاك لا بأس، بل يجب أن تقوم بهذا، وإذا ما كان عندك سلطان فاتق الله ما استطعت وصل في مساجد هؤلاء إن لم تقم عليه الحجة، فما دام مستورًا ولم تقم عليه الحجة فصلِّ وراءه، فصلاة الاستسقاء وصلاة العيد وصلاة الجمعة لا تخالف المسلمين فيها، لأنها أمور عامة، وهي شعار من شعارات الإسلام

فلا تتخلف عنها، وإذا تمكنت من منعهم من قيادة الناس في هذه الشعارات فامنعهم، وإذا ما عندك فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والصحابة كانوا يصلون وراء أهل البدع، فصلىٰ بعضهم وراء المختار لعنة الله عليه، ما عرفوا حقيقته يعرفون أنه منحرف لكن ما عرفوا أنه ادعىٰ الربوبية وادعىٰ النبوة، وكانوا يُصلُّون وراء الخوارج، وبوَّب علىٰ ذلك البخاري بابًا.

فالحاصل: أن الشعائر الإسلامية لا تترك، والإنسان يؤدي طاعة الله ﷻ بحسب استطاعته، والقول بأنه إذا أمكن أهل السنة ألا يصلي بالناس إلا السلفيون فهذا والله واجب عليهم، وإذا ما استطاعوا فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، فلا نهجر المساجد من أجل أن الإمام مبتدع أو الذي يستسقي بالناس مبتدع أو الذي يصلي العيد مبتدع، لا نترك هذه

الشعارات الإسلامية، فلا نهجر المساجد إلا إذا كان فيها قبور فلا نصلي فيها.

س: يقول السائل: لي دَيْن على شخص فقير يستحق الزكاة، فهل إذا وضعت عنه الدين بما يعادل زكاة الفطر أكون بذلك قد أخرجت هذا النوع من الزكاة ؟

الجواب: بشرط ألا تكون يائسًا من دفعه المال الذي عنده ورده إليك، لأنه إذا كان هذا حال المدين تكون هذه حيلة، لأنك لم تتنازل عن هذا المال إلا بعد اليأس من أخذه منه، وإذا كان بإمكانه أن يؤدي وهو ثقة فالظاهر أنه يجوز.

س: يقول السائل: ما حكم لبس القبعات والتي قد يكون في بعضها زخرفة تشابه الصليب؟

الجواب: لبس القبعات من شعارات الكفار، ولا يجوز للمسلمين أن يتبعوا المشركين في هذا الشعار الكافر والمظهر الكفري.

قال -عليه الصلاة والسلام-: «من تشبه بقومٍ فهُو منهم»(١).

فيجب علىٰ المسلمين أن يتميزوا عن الكفار في أكلهم وشربهم ونومهم وركوبهم ولباسهم وفي كل أمر يتميزون به عن الكفار، إلا في أمور مشتركة بين المسلمين والكفار وليست من خصائص الكفار، فالقبعة هذه قد حصل فيها معارك بين علماء المسلمين وبين الكُتَّاب السفهاء.

فيذكر مصطفىٰ صادق الرافعي وأحمد شاكر وغيرهم أن الناس لما شرعوا في تقليد الكفار والتأثر بهم والأخذ بمظاهر الكفار ومن ذلك لبس القبعة، فنصح علماء المسلمين جهال الناس وسفهاءهم عن لبس هذه القبعة،

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

فقام بعض الكتاب يقولون بالجواز ويذكرون فوائد لبس القبعة، وأنها تقي الرأس والعيون من الشمس، ثم بعد أيام خلع الكفار القبعات ومشوا برءوس مكشوفة فقلدهم الرعاع من المسلمين فأصبح الكتاب يبررون كشف الرأس، فيتلاعبون بعقول الناس!

الشاهد: أن علماء المسلمين أنكروا هذا، وهذا حق ودليلهم قوله -عليه الصلاة والسلام-: «من تشبه بقومٍ فهو منهم».

وعمر ووافقه الصحابة لما فرضوا الجزية علىٰ الكفار شرطوا عليهم شروطًا أن يخالفوا المسلمين في لباسهم وفي جلوسهم وفي ركوبهم وفي أمور كثيرة ليتميز الكافر من المسلم.

وأنت الآن إذا ذهبت إلىٰ كثيرٍ من بلاد المسلمين

لا تستطيع أن تُميز بين اليهودي والنصراني والمسلم وبين اليهودية والنصرانية، لأن المسلمين بجهلهم وقيادة أهل السوء لهم -من الصوفية الخرافيين ومن الكُتَّاب المنحرفين- يسارعون إلىٰ متابعة الكفار مع الأسف الشديد.

وقدر أخبر رسول الله ﷺ بهؤلاء فقال: «**لتتبعُن سنن من كان قبلكم حذو القُذة بالقُذة حتىٰ لو دخلُوا جُحر ضبٍّ لتبعتموهم**»(١).

فكثيرٌ من الناس يحاكون الكفار ويقلدونهم، فكل موضة وكل جديد يأتي من الغرب يعتبر عندهم تقدمًا ورقيًّا، ومخالفته تخلفًا ورجعية مع الأسف الشديد، نسأل الله العافية.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

الشاهد: أن هذا لا يجوز، فنسأل الله أن يوفق علماء السنة في هذا البلد أن يُبينوا للناس واقع هذه القبعة التي ترىٰ بعض الأطفال وبعض الشباب وبعض الرجال يلبسونها ويدخلون بها المساجد مع الأسف، فنحن نأمل من العلماء والخطباء أن يحاربوا هذه الظاهرة الخبيثة السيئة، ويبينوا للناس حكم الله فيها، وأنها تقليد خبيث وسيئ لأعداء الإسلام.

والمسلم عزيز لا ينحدر إلىٰ مثل هذا المستوىٰ فيكون ذيلًا وذنبًا لأعداء الله.





الفهـرس

الأسئلة:



تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقاً"



للنشر والتوزيع





تأليف

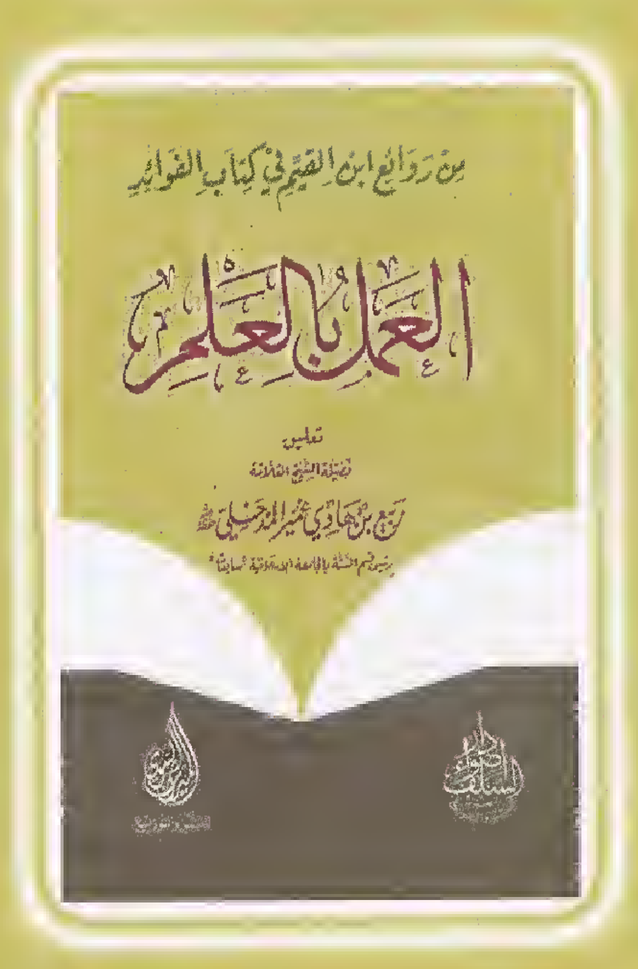
فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقا"






من روائع ابن القيم في كتاب الفوائد
العمل بالعلم
تعليق
فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية سابقاً


الإدارة: ٤٨ ش السلام - أحمد عصمت - جسر السويس - القاهرة
المكتبة: ٨١ ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس - القاهرة
هاتف وفاكس: ٠٠٢٢٢٤٩١٢٧٩٥
هاتف محمول: ٠٠٢٠١٠١٠٠١١٤٥
adwaasalaf2007 @yahoo.com


دار أضواء السلف المصرية للنشر والتوزيع

